مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

العراق الخاسر الأكبر لحروب المياه في الشرق الأوسط

جوناثان غورفيت

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وانما تعبر عن رأي كتابُها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

العراق الخاسر الأكبر لحروب المياه في الشرق الأوسط

جوناثان غورفيت *

بوقوع اثنين من أشهر أنهار العالم المتدفقة خلاله، كان العراق يعرف لعدة قرون باسم ''الهلال الخصيب'' للشرق الأوسط، فحضاراته كانت غنية بمياه دجلة والفرات.

ولكن الآن فإن درجات الحرارة المتصاعدة، والجفاف المسهب، وسوء إدارة المياه، والسياسات المنقسمة، كانت كلها أسباباً في تهديد الكارثة البيئية في هذين النهرين والبلاد.

وقال فابريس بلانش، وهو خبير إقليمي في المياه من جامعة ليون، لصحيفة آسيا تايمز: ''إن حالة المياه الآن رهيبة حقاً، في جميع أنحاء العراق''. ''التلوث والنفايات ونقص التدفق ونقص الأمطار، كلها الآن لها تأثير''.

وقد أدى بناء السدود في تركيا وإيران إلى خفض إمدادات المياه في هذين النهرين الحيوية وروافدهما، بينما سلمت أيضاً أنقرة وطهران قدراً كبيراً من الطاقة على جارتهما العراقية.

وفي الوقت نفسه، فإن السيطرة على ما تبقى من المياه تغذي التوترات المحلية في العراق، مع زيادة تركيز الجماعات المسلحة على السدود والخزانات المحلية.

وقال إبراهيم المراشي، خبير العراق من جامعة جنوب كاليفورنيا، سان ماركوس، لصحيفة آسيا تايمز ''في الماضي كنا نعتقد أن الولايات ستخوض حرباً على المياه''. ''ولكن الأمر الآن يتعلق أكثر بالصراع على المياه داخل البلدان، فالسوريون ضد السوريين، والعراقيون ضد العراقيين''.

ومع ذلك فإن قضية المياه تظل أيضاً بلا علاج إلى حد كبير من قِبَل حكومة الدولة التي تعاني من المشكلات، حيث يخشى الكثيرون الآن من أن وقت ''الهلال الخصيب'' قد ينفد بسرعة مع تصاعد تغير المناخ.

الأنظمة والخزانات المائية

ويرتفع كل من الفرات الذي يبلغ طوله 3000 كيلومتر ودجلة الذي يبلغ طوله 1900

* صحفي متخصص في الشؤون الأوروبية وشرق أوسطية.

كيلومتر في جبال جنوب تركيا، قبل أن يبدآ رحلاتهما التي تنتهي في جنوب العراق عند الممر المائي في شط العرب على رأس الخليج.

يتدفق النهران عبر تركيا وسوريا والعراق، على الرغم من أن دجلة لا يلمس إلا القليل من الحدود السورية شمال غرب الموصل ويتدفق عدد من المجاري المائية الرئيسية إلى العراق من إيران، من الشرق.

ويضيف بلانش كل هذا و"أكثر من 90% من مياه العراق تأتي من خارج البلاد".

ولكن في التسعينيات، بدأت تركيا في بناء سلسلة من السدود عبر الفرات ودجلة، المعروفة باسم مشروع GAP.

وعلى وجه الإجمال، من المقرر إنشاء 22 سداً في إطار هذه الخطة، مع إنجاز 16 سداً الآن، وقد ضاعفت المياه من مشروع GAP حتى الآن كمية الأراضي الزراعية المروية في تركيا، وفقاً للأرقام الخاصة بالمشروع، مع ارتفاع إنتاج محاصيل القطن والحبوب الكثيفة الاستخدام للمياه.

وبنت قامت سوريا أيضاً سدوداً على الفرات، حيث عملت سدود تشيرين وطبقة على توريد مياه الشرب والري، فضلاً عن الطاقة.

في عام 1987، وافقت تركيا على تزويد سوريا بمتوسط 500 متر مكعب في الثانية من المياه من خلال الفرات، مع دمشق وبالتالي تزويد العراق 58٪ من هذه الكمية.

وتزود دجلة بالمياه من إيران من الشرق عبر عدد من الأنهار. والواقع أن نحو ثلثي المياه التي تترك الجمهورية الإسلامية تذهب إلى العراق، ومع استمرار تدفق كميات كبيرة من المياه، ظل العراق، لسنوات عديدة، غنياً نسبياً بالمياه في المنطقة.

رجل عراقي يمر بجوار قارب على أرض جافة ومتشققة في أهوار الجبايش بالقرب من مدينة الناصرية في جنوب العراق.

هطول الامطار

ومع ذلك، ”عندما يكون لديك ما يكفي من المطر، كما كان لديك في العقود السابقة، لكان كل شيء على ما يرام“، يقول بلانش. ”المشكلة هي أن الآن أنت لا تمتك مياه الأمطار“.

لقد شهدت السنوات الأخيرة انخفاضاً هائلاً في هطول الأمطار في جنوب شرق تركيا وإيران، حيث توقع العلماء تغير المناخ يعني أن الأمر أسوأ في المستقبل.

ولقد أظهر تقرير صادر عن منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (FAO) في عام 2012 أن تدفق المياه في دجلة والفرات انخفض بالفعل بنسبة 60% في العقدين الماضيين.

”في مختلف أنحاء الشرق الأوسط، سوف نرى نحو 40% من الأمطار أقل بحلول عام 2040-2050“ ويضيف بلانش: ”وبالتالي فإن كمية المياه القادمة إلى النظام سوف تنخفض، في حين سوف يستمر عدد السكان والطلب في الارتفاع“.

وتتخذ إيران أيضاً خطوات للحفاظ على المزيد من المياه في أراضيها، مع 16 سدا بنيت على نهر ديالى (سيروان) في السنوات الأخيرة.

وتخطط وزارة المياه الإيرانية أيضاً لبناء 109 سد أخر بحلول نهاية هذا العام، ولاسيما على الأنهار المتدفقة إلى العراق.

وفي الوقت نفسه، هناك كمية هائلة من هدر المياه في العراق.

وفي الجزء الجنوبي من البلاد على وجه الخصوص، تتضمن أساليب الري القديمة منذ آلاف السنين هي بإغراق الحقول (الري الفيضي)، وهي الطريقة التي أدانتها منظمة الأغذية والزراعة (FAO) لإهدار نحو 85% من المياه المستخدمة.

والتبخر في حرارة الصيف الشديدة هو أحد أسباب ذلك، حيث يترك ري الفيضي أيضاً الأرض مغطاة بالملح، حيث تتبدد المياه تدريجياً.

وبعد الحصاد، يتعين ”غسل“ الحقول بالمزيد من الماء، للتخلص من الملح.

ثم يتدفق الماء إلى الأنهار؛ مما يعزز الملوحة.

وعندما يضاف تلوث الأنهار بعد ذلك – حيث تتفكك أو تدمر شبكات الصرف الصحي في جميع أنحاء العراق، ''عندما تصل إلى جنوب العراق'' يقول بلانش'' إن الكثير من مياه النهر غير قابلة للاستخدام''.

ضغوط سياسية

ومع تشغيل سدودها الآن على كل من دجلة والفرات، فإن ''تركيا الآن مهيمنة على المياه''، يقول المراشي.

وأنقرة لا تخشى أيضاً استخدام هذا المكانة.

في أيار، وبسوريا المجاورة، ادعى مسؤولون من أكبر مجموعة كردية عرقية تسيطر على جزء كبير من الحدود السورية التركية الحالية أن تدفق المياه عبر الفرات قد تم تخفيضه إلى 200 متر مكعب/ثانية فقط.

قال بدران جيا كورد، نائب الرئيس التنفيذي للمنطقة، للإذاعة الكردية المحلية في 4 أيار ''نهج حصار هذا من الحكومة التركية لتقويض سلطتنا وإلحاق الأذى بمنطقتنا''.

وتعارض تركيا تماماً السيطرة الكردية في هذه المنطقة، إذ ترى أن المقاتلين المحليين مرتبطون بالانفصاليين الأكراد في أراضيها –حزب العمال الكردستاني– الذي ظل نشطاً لفترة طويلة في منطقة مشروع GAP.

وإن سيطرة إيران على نهر ديالى (سيروان) ونهر الزاب الاسفل تمنحها نفوذاً كبيراً على شمال العراق الذي يسيطر عليه الأكراد، مع قلق طهران لمدة طويلة إزاء النفوذ الذي تتمتع به هذه المنطقة على سكانها الأكراد من أصل كردي.

وإن الجهات الفاعلة من غير الدول كانت تغتنم الفرص لاستخدام المياه لممارسة السلطة.

يقول المراشي: ''تنظيم داعش هو أفضل مثال لما سبق''.

تم الاستيلاء على سد الموصل من قبل قوات البيشمركة الكردية في 28 كت=/ 2015.

في عام 2014، عندما اجتاحت داعش العراق، استولوا على سد الموصل، وهو سد عراقي كبير على نهر دجلة.

يقول المراشي "يمكنهم استخدام هذا لحرمان أعدائهم من استخدام الماء". "ويمكن لهم أيضا أن يهددوا بإطلاق فيضان مدمر في مصب النهر بتدمير السد. وهذا مثال جيد على (الإرهاب المائي)، وهو نوع من الصراع المحلي للحصول على المياه والذي قد نرى المزيد منه".

ويمكن أن يؤدي قطع المياه أيضاً إلى التهجير، مما يدفع السكان إلى الخروج من المناطق القاحلة.

سدود إيران، على سبيل المثال، "ستجبر الناس على الهجرة إلى أماكن أخرى"، قال رحمن

خاني، مدير سد دربندخان في شمال العراق للصحفيين في أيار 2020.

ويعتمد نحو مليوني شخص على الأنهار التي تتدفق من إيران إلى الشمال الذي تسيطر عليه كردستان العراق.

"الصراع سيأتي"، يقول بلانش: "إن حق الماء كان دائماً حق الأقوى، والعراق الآن ليس بلداً قوياً".

المصدر:

https//:asiatimes.com/2021/08/iraq-the-big-loser-of-middle-east-water-wars/